

أحوال العالم قبل الإسلام

بحث في السيرة

إعداد / محمد الجوهري

قسم الدعوة وأصول الدين

كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية

شاه علم - ماليزيا

Waleed.eltantawy@mediu.edu.my

خلاصة— هذا البحث يبحث في نبذة مختصرة عن أحوال العالم قبل الإسلام

الكلمات الافتتاحية تعرّض الديانتان السماويتان اليهودية والنصرانية إلى تحريف وتبديل، والحياة السياسية والاجتماعية بالدولة الرومانية.

I. المقدمة

نتعرف في هذا الموضوع على نبذة مختصرة عن أحوال العالم قبل الإسلام.

II. موضوع المقالة

في البداية نشير إلى التحريف الذي دخل على الديانتين: اليهودية والمسيحية، حيث تعرّضت الديانتان السماويتان اليهودية والنصرانية إلى تحريف وتبديل، وذلك على يد اليهود قتل الأنبياء ومحرفو الكتب المنزلة على الأنبياء صلى الله عليهم وسلم؛ ونشير إلى بعض ما أدخله اليهود من تحريف على الديانتين.

أولاً: الديانة اليهودية: عاد اليهود إلى عبادة الأوثان على الرغم من الرسالات المتتالية إليهم؛ فقد أخذوا كثيراً من العقائد الفاسدة من الأمم المجاورة لهم، بالإضافة إلى ما اشتملت عليه توراتهم المحرّفة وتلمودهم من الأوصاف التي لا تليق بعظمة الله تعالى.

ومما تضمنته التوراة المحرّفة:

١- يذكرون أن الله تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً- تعب في اليوم السادس، وهو يخلق الكون، فاستراح في اليوم السابع وهو يوم السبت.

٢- وجاء في عهدهم القديم قصة آدم وزوجه حواء: "وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة...". فهم يجعلون الرب مثل البشر.

٣- وعندهم أن الله ندم على إغراقه الأرض في الطوفان.

٤- ويقولون: بأن الله تعالى قبل الضيافة عند إبراهيم، فجاء بصحبته اثنان من الملائكة، وأكل من طعامه.

٥- وفي توراتهم: أن لهم إلهاً خاصاً بهم لا يحب غيرهم، لأنهم شغبه المختار، أما الأمم الأخرى فهي كالإغنام لا يأبه بها الإله.

٦- ويصفون الأنبياء بالسكر والعهر، كما ذكروا ذلك عن نوح -عليه السلام-، ولوط -عليه السلام- الذي اتهموه بالفاحشة مع بناته. ويقولون: بأن عيسى -عليه السلام- ابن غير شرعي حملته أمه سفاحاً. فهذا جانب من بعض معتقداتهم الباطلة في الله وفي الأنبياء.

ثانياً: الديانة المسيحية أو النصرانية: وليست أحسن حالاً من اليهودية. وتطلق النصرانية على الدين المنزل من الله تعالى على عيسى -عليه السلام-، وكتابه الإنجيل.

وهذه بعض الإشارات إلى مظاهر التحريف في الديانة النصرانية:

١- كل الأناجيل الموجودة بأيدي النصارى اليوم لا يُعرف متى ظهرت بالتحديد، وأنه لا صلة بينها وبين من نسبت إليه؛ وهذا ما قرره مؤرّخو النصرانية.

٢- دخل في هذه الأناجيل ألوان شتى من الوثنية والحرافات اليونانية، وأصبحت ديانة وثنية بحتة، تحول بين الإنسان والفكر والعلم.

٣- ابتدعوا الرهبانية.

٤- اختلفت أقوالهم في المسيح -عليه السلام-:

٤- فرقة يعقوبية تقول: بأن الله هو المسيح نفسه. قال تعالى: **يَقُولُ كَفَرًا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ**.

ب- ومنهم من يقول بالتثليث، وهو حسب زعمهم تعالى الله عما يصفون علواً كبيراً: أن الله ثلاثة.

١- الإله الأب، وله خصائص اللاهوتية.

٢- الإله الابن، وله خصائص الناسوتية، أي: البشرية.

٣- الإله الروح القدس، وله خصائص الازدواجية. قال الله تعالى: **يَقُولُ كَفَرًا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ تِلْكَ آيَاتُهُ**.

٤- تقديس الرهبان، فهم يزعمون أنهم يتكلمون ويأمرون نيابة عن الله. قال تعالى: **وَإِنَّمَا أَوْلِيَاؤُنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ إِلَهاً وَاحِداً إِلَهاً لَا هُوَ سَيِّئَاتِهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ**.

٥- الصلب وتقديس الصليب، وهو أن الله (الابن) أراد أن يُصلب تكفيراً لخطايا ابن آدم، ويعتقدون أنه صلب وقتل. قال تعالى: **يَوْمَآ قَتَلُوهُ وَمَا صَلَّوهُ وَلَكنَّ شِبْهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا**. والذي حاول قتل المسيح هم اليهود الذين خافوا من انتشار دعوته، فهموا بقتله، فأوقع الله شبهه على من دلهم على مكانه فقتلوه. ولكنه -عليه السلام- لم يُقتل. قال تعالى: **بِئْسَ رِيقَةً اللَّهُ لِيهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيمًا**.

الحياة السياسية والاجتماعية بالدولة الرومانية:

كانت الدولة الرومانية التي شتمت الديانة النصرانية تعيش في تحيُّب وحروب هنا وهناك؛ وقد عرفت من الظلم لرعاياها ما لم يعرفه أحد، حتى أن بعضهم كان يبيع ابنه لسداد الضرائب والإتاوات التي يجب عليه دفعها. كما انتشر فيها النظام الطبقي: سادة وعبيد، ملاك ورفقاء، القوي ياكل الضعيف؛ فانتشر الفساد الأخلاقي والإداري، وكثر السلب والنهب. وقد تعرّض أتباعها لأشد أنواع الظلم من الطبقة الحاكمة، كما كان يحدث لأهل مصر والشام وإفريقية.

الفرس: كان الفرّس يعبدون الله ويسجدون له، ثم أضخوا بمجدون الشمس والقمر وأجرام السماء، ثم جاءهم "زرادشت" فدعاهم إلى التوحيد بزعمه، وأمرهم بالاتجاه إلى الشمس والنار في الصلاة وظلّ من بعده يُشرعون لهم حتى انقضت كل عقيدة وديانة غير عبادة النار؛ واقتصرت عبادتهم تلك على طقوس يؤدونها في المعابد، ثم إذا خرجوا منها تفادفتهم أمواج الباطل ورياح الضلال في كل سبيل.

وأمام فساد الفرّس ظهرت دعوة "ماني" في القرن الثالث الميلادي يمتنافسة النور والظلمة. فحرم الشهوات بالكلاية لأنها من الظلام، ودعا باستعجال الفناء انتصاراً للنور؛ وهو ما أجابه إليه ملكهم حين قتله!! وظلّ أتباعه بفارس إلى حين الفتح الإسلامي.

وظهرت من بعده دعوة "مزدك" بأن المال والنساء مشاع مباح كالكلاب والنار والماء؛ وما زالت دعوته تلك تظهر حتى صار الرجل لا يعرف ولده، والولد لا يعرف أباه، والمرء يُغلب على بيته بمن يشاركه ماله ونسائه في كل وقت وفي كل حين. أما بالنسبة للنظام الاجتماعي، فقد عرف الفرّس نظام التمييز الطبقي في أقصى صورته؛ وكان مركز المرء يُحدد بنسبه، فلا يستطيع أن يتجاوزَه، أو يغيّر جرقته التي خُلق لها بزعمهم الباطل.

وفيما يخص النظام المالي، فقد كان نظاماً جائراً مضطرباً، يعتمد على الجبائية والضرائب الباهظة، التي أثقلت كاهل الناس، حتى تركوا أشغالهم؛ ففشت فيهم البطالة، وكثرت بينهم الجناية. وكان الفرّس يقدسون أكاسرتهم، ويعتقدون في ملوكهم الألوهية، وأن لهم حقّاً لا يُنزعون فيه التاج والإمارة. وكثرت كنوز ملوكهم في الوقت الذي عنت فيه شعوبهم من شظف العيش. ويروى أن "خسرو الثاني" كان في خزانته ثمانمائة مليون متقال

ذهب في العام الثالث لجلوسه على العرش. أما "كسرى أبرويز"، فكانت له اثنتا عشرة ألف امرأة، وخمسون ألف جواد، وما لا يحصى من أدوات الترف والقصور. والعجيب أن الفرس مع ذلك كانوا يمجّدون قوميتهم، ويعتقدون أنها اختصت دون سواها بالشرف، في الوقت الذي كانوا ينظرون فيه إلى الأمم من حولهم نظرة ازدراء وامتهان. وهناك بعض الحضارات الأخرى التي كانت سائدة في ذلك التاريخ، مثل: الحضارة الهندية والصينية. ونظراً لعدم اتصالهما المباشر بسكان الجزيرة العربية، لم نتعرض لأحوالها، إلا أنها كانت في أحسن أحوالها أسوأ من الحضارتين الرومانية والفارسية. والذي نريد أن نقوله عن هدف الحديث عن هذه الأمم وأحوالها في عصر البعثة المحمدية، لنعلم ما كانت عليه البشرية في ذلك الزمان من حاجة إلى رسالته صلى الله عليه وسلم- الخالدة، التي أتقدها الله بها من كتب في سابق عهده أنه من الفالحين.

المراجع والمصادر

١. الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، دار الكتب العلمية ٢٠٠٦م.
 ٢. السهيلي: الروض الأنف، تحقيق: مجدي منصور سيد الشورى، دار الكتب العلمية ١٩٩٧م.
 ٣. المحب الطبري: الرياض النضرة في مناقب العشرة، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٥هـ.
 ٤. سيد الناس: عيون الأثر، ابن الشركة العربية للطباعة والنشر ١٩٥٩م.
 ٥. محمد بن يوسف الصالحي: سبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، مجمع البحوث الإسلامية - القاهرة ١٩٧٢م.
 ٦. ناصر الدين الألباني: نصب المجانيق لنسف قصة الغرائيق، المكتب الإسلامي ١٩٥٢م.
 ٧. القسطلاني: شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية، المطبعة الأزهرية ١٩١٠م.
 ٨. ابن سعد: الطبقات الكبرى، دار صادر للطباعة والنشر ١٩٩٨م.
 ٩. عبد السلام هارون: تهذيب سيرة ابن هشام - دار الكتب العلمية - ١٩٩٦م.
 ١٠. صفى الرحمن المباركفوي: الرحيق المختوم، دار الشرق العربي ٢٠٠٣م.
 ١١. الأزرقى: تاريخ مكة وما جاء فيها من الآثار، مكتبة خياط ١٩٧٠م.
 ١٢. الذهبي: سير أعلام النبلاء، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م.
 ١٣. محمد أبو شهبه: السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة : دار القلم ١٩٩٦م.
 ١٤. عبد العزيز سالم: تاريخ العرب قبل الإسلام، مؤسسة الثقافة الجامعية ١٩٧٢م.
 ١٥. الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، دار الكتب العلمية ١٩٨٠م.
 ١٦. محمد سعيد البوطي: فقه السيرة، دار الفكر، الطبعة العاشرة ٢٠٠٢م. ٤
- ابن هشام الأنصاري ، عبد الملك بن هشام الأنصاري، السيرة النبوية، دار الكتاب العربي، ٢٠٠٥م